

وأحسن المسير إلى ربك، واعلم أنَّ السَّنَةَ شجرة
والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعة أوراقها،
والأنساس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة ، فشمرة
شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فشمرته حنظل ، وإنما
يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند ذلك يتبيّن حلو الشمار من
مرها، كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - .

والكل مسافر في هذه الدار إلى ربه، ومدة سفرك
عمرك ، والأيام والليالي مراحل ، فالعقل لا يزال مهتماً بقطع
المراحل فيما يقربه إلى الله ليجد ما قدم مُحضرًا ، فكن أنت
ذلك الرجل ، وإن وفقت وسُددت فقل : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا
بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [٨٨] [هود: ٨٨].
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



أليس منكم رجل رشيد؟

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فهذا المعنى يرددہ الإنسان بلسان حاله ومقاله، إذا تواطأ
الناس على الانحراف عن منهج الله وكثرة الخالفون لدین الله،
وظهرت منهم علامات السفه والفحotor في الأقوال والأفعال
مع ادعاءات الرشاد والعقل والإدراك.

لقد كان فرعون سفيهاً عندما ادعى الربوبية والألوهية
وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿أَلَيْسَ لِي
مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١]
وكان سفيهاً عندما شرع بقتل الصبيان ويستحي البناء،
ويفسد في الأرض بغير الحق، وينسب الإفساد لنبي الله
موسى عليه السلام ، وهو أحد أولي العزم من الرسل: ﴿إِنِّي أَخَافُ
أَنْ يُدَلِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]

٢٦] ، والآيات تدمغه ﴿إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضْعُفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيُسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

كان سفيهاً، ولم يمنعه ذلك من أن يقول لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] ، يقول سبحانه عنه: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [٩٧] . هود: ٩٧.

والامور كل الأمور على ما عند ربك، تحكي كتب التفسير أنَّ الملائكة لما خرجت من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ، بصرت بنتاً لوط - وهما تستقيان - بالملائكة، ورأتا هيئة حسنة، فقالتا ما شأنكم، ومن أين أقبلتم؟ قالوا: من موضع كذا، نريد هذه القرية. قالتا: فإنَّ أهلهَا أصحاب الفواحش، فقالوا: أبها من يُضيّفنا؟ . قالتا: نعم، هذا الشيخ، وأشارتا إلى لوط، لما رأى لوط هيئتهم خاف قومه عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيِّءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذِرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ

عصيب (٧٧) وجاءه قومه يهربون إليه ومن قبل كانوا يعملون السُّيَّئَاتَ قال يا قَوْمٌ هُؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُنُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨)

[هود: ٧٧، ٧٨].

لقد أسرع القوم بالمجيء، لما رأوا الملائكة وكانوا في هيئة بشرية حسنة، طالبين إتيانهم ومواقة الفاحشة معهم، وهذا من غلبة الشقاء على نفوسهم، وما دروا أنَّ الملائكة إنما جاءت بالعذاب، لتقلب قريتهم على من فيها، وكان موعدهم الصبح، أليس الصبح بقريب، لقد راودوا نبيَ الله لوطن عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ضيفه، فقام مدافعاً يقول لهم: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أي مؤمن صالح على هدى واستقامة أو رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

لقد انتكست المعايير في حسَّ القوم بأسرهم حتى قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرِيْتُكُمْ إِنَّهُمْ أَنَّاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] وكانت امرأة لوط مُعينة للقوم، ولذلك شملها الهلاك معهم.

لقد سفهت العقول، وضلت الأفهام، وانتكست الفطر،
وهم على كثرةهم لم يُدرِّكوا مصلحتهم في العاجل
والآجل، بل دمروا أنفسهم، إذ لم يكن منهم رجل رشيد،
ونفس الكلمة نقولها لأشبه المنافقين، الذين يوالون أعداء
الإسلام والمسلمين، ويُسَارِعونَ فيهم، يقولون نخشى أن
تصيبنا دائرة، كان أخرى أن يوثقوا صلتهم بالله، وأن يكون
خوفهم منه سبحانه، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من
عنه، فيصيبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

أطلب العزة من أذلهم الله؟! فإن العزة لله جميعاً ، قال
عمر لأبي عبيدة رضي الله عنه: «إِنَّا كُنَّا أَذْلَّ قَوْمًا فَأَعْزَّنَا اللَّهُ بِهَذَا
الدِّينِ، فَمَمَّا نَطَّلَبُ الْعِزَّةَ مِنْ غَيْرِهِ أَذْلَّنَا اللَّهُ» .

لقد خيَّلَ أعداء الإسلام على ضعاف البصر وال بصيرة أنَّ
الإصلاح كامن في الأخذ بالنظام الديمقراطي وإطلاق
الحرفيات، كالحرية الشخصية، بحيث يُزنَى ويُزَنَى به بلا
اعتراض، ويُكَفَّرُ ويرتد على عقبه القهقري بلا رادع، وهذه
هي حرية الرأي، وتتعرى المرأة وتفجر وتخلط بالرجال،
وهذه هي حرية المرأة ...

وصوروا هذا التحلل على أنه عنوان الرقي والتقدم، وأصبحت كلمة الديمقراطية والمطالبة بها على السنة المسلمين قبل غيرهم !!! ولكل هؤلاء يقال: أليس منكم رجل رشيد؟! أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!، إنَّ جنة الديمقراطية ما هي إلَّا نار كجنة الذجاف في آخر الزمان.

لقد أغنانا سبحانه وكتفانا ، وقال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

• إنَّ الديمقراطية دين عند أهلها، كما أنَّ الإسلام دين عند أهله، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَسْتَغْ فِيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

لقد كان الواجب علينا أن ندعوه للدخول في دين الله، لا أن نأخذ من سموهم ونتشرب أباطيلهم . ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ كلمة نوجهها لأصحاب

الوطنيات والقوميات والقبليات والشعوبيات، والأحزاب الليبرالية والشيوعية... ولكل من تناصي معاني الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية، وانشغل عن هموم وجراح المسلمين هنا وهناك، وكأن استصراخهم لا يعنيه.

أين الرشاد عند من صار دينه وراءه ظهرياً، وكأنه يناديه من مكان بعيد يوم بدر وأحد ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

لقد صار كل واحد كيان قائم بذاته، جزيرة مستقلة، له فلسنته في الحياة يتصدق، وله شخصيته كما يعبر، شرائع ونظم ودساتير ومناهج تخالف الكتاب والسنة، وفرق ضلالة نارية ، انقسمت إليها الأمة الواحدة، بل وانقسمت الفرق الواحدة - كالخوارج - انقسامات ثنائية، كالمحكمة والصفوية والعجارة والأزارقة والإباضية ...

فكيف تقوم لنا قائمة مع هذا التشرذم والتفرق، وقد

أعمل فينا الأعداء سياسة فرق تسد، فينا حظ ونصيب من قوله تعالى: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

الرشاد يظهر عندما نكون يداً واحدة على عدو الله وعدونا، وهذا لا يتحقق إلاً لأن نكون على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فهذه هي الطائفة الظاهرة الناجية المنصورة.

أبى الإِسْلَامِ لَا أبَا لِي سَوَاهْ

إِذَا افْتَخَرُوا بِقِيسٍ أَوْ تَمِيمٍ

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ كلمة تقال عندما نرى الجحافل الجراراة، قد صرفت العبادة لغير الله وللمقبورين بزعم محبة الأولياء والصالحين، فهذا يتلمس المدد والبركة من فلان، وهذا يذبح ويستغيث ويدعو «سيدي فلان» !! إلى غير ذلك من الصور الشركية.

إنَّ التطور المادي العصري لا يدل على هداية أو على استقامة، فما زالت الأصنام تُعبد من دون الله، والبعض

يتبرك بالشجر والحجر، وطوائف تطوف حول قبر لينين،
وآخرون يجثون على الرُّكب أمام تمثال العذراء، ومن الناس
من يزعم أنَّ الدماء الزرقاء تجري في عروقه، فيُجيز لنفسه أنَّ
يُشرع مع الله، ويُتابعه آخرون.

والعلمانية اللادينية صارت هي اللافتة المرفوعة هنا
وهناك، وكل هؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ
ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

إِنَّ صِرْفَ الْعِبَادَةِ وَالتَّشْرِيعَ لِغَيْرِ اللَّهِ، كُفُرٌ وَشَرِكٌ بِاللَّهِ،
﴿وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَائِنًا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ
تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] ، إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ

[النساء: ١١٦].

ونفس الكلمة تُقال لأصحاب النزعات العقلانية، وما
أكثر مظاهر وصور هذه اللوثة، فالصغير قبل الكبير، والمرأة
والرجل، الكل يزعم العقل والإدراك، وأنه لا مثيل لعقله،

فهذا يقول بالعقل، ثم يصادم به النقل، والثاني يقول: «ربنا عرفوه بالعقل» بينما هو لا يُعَظِّم لله حرمة!! ، والثالث أداءً عقله الفاسد لأن يتحالف مع الشيطان في سبيل مصلحته، وبئس الحلف، وبئس المصلحة... .

جامعات وكتب ومذاهب معتزلية عقلانية، إن العقل متولٍ ولِي الرسول ثم عزل نفسه، والعقل دابة توصلك لقصر السلطان، ولا تدخل بها عليه، ولا يُظن وجود تعارض بين عقل صريح ونص صحيح، والعاقل بحق هو الذي يستقيم على شرع الله، وقاعدة تقديم النقل على العقل، من أهم القواعد التي عمل بها سلفنا الصالح، وإن فالعقل متفاوتة .

﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [٦٥] [النساء: ٦٥].

وقال أيضاً : ﴿وَمَا كَانَ لَمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ

وَرَسُولُهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦) [الأحزاب: ٣٦]

فالتسليم لشرع الله والرد إنما يكون لحكمه سبحانه.

﴿إِلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ تُقال لكل من تعامل بالربا، سواء كان فرداً أو جماعة أو دولة ، بزعم الخروج من الأزمات وعلاج الاقتصاد!! فالربا يدمر البلاد والعباد
﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِبِّي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وفي الحديث : «لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه» .

والأوضاع الملعونة لا بركة فيها، بل تهدد سبحانه أهل الطائف، رغم صلاتهم وصيامهم، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ، حرب لا طاقة للعباد بها.

ونفس الأمر يُقال لمن يُنشد السعادة في كأس أو غانية، أو يتسلّى بأغنية ورقصة وفيلم وتمثيلية ومسرحية، أو يعالج حزنه بدخان ومخدرات، أو يعالج مشكلته بالإعراض عن

منهج الله، فهو لاءً كالمستجير من الرمضاء بالنار، أو كالغير بالرمضاء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) [طه: ١٢٣، ١٢٤].

كيف تسعد النفوس بالتبرج والاختلاط والعرى والخلاعة، وكيف سمح أولياء الأمور بذلك؟!، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيَّكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحرير: ٦].

ما ترك النبي ﷺ فتنة أضر على الرجال من النساء، وقال: «فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنةبني إسرائيل كانت في النساء».

أين الرشاد عند من صار حرباً على الملتحين والمنتقبات، وعند من صارت الدنيا هي كل همه ومبلغ علمه، وعند من توهم أن بمقدوره تجفيف منابع التدين، أين الرشاد عند من نسى الموت وسكراته والقبر وضمته، والصراط وحدته؟!

وعند من لم يتفكر في تطاير الصحف ونصب الميزان، ومن غرّه طول الأمل، وانخدع بصحّة وجاه وسلطان؟! أين الرشاد عند دعاة التنوير والتثقيف من الملاحدة والزنادقة، وعند من اغتثروا بقوّتهم فقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]؟ ألم يقرأوا عن قيام الحضارات المادية وزوالها؟! ألم يطالعوا كيف أهلك سبحانه قوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثیراً، إِنَّ اغتراراً بالله حمق.

أين الرشاد عند من يعقّ والديه، ويقطع رحمه؟! .. لكل هذه الأصناف يُقال: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ والبعض يأبى إِلَّا الاعوجاج رغم وضوح الطريق، وهذا من شئوم الحال، ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيَّ يَتَخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

إِنَّ الرُّشادَ مِنَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

ويكمن في العمل بمنهج الله ﴿فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويُستمطر بالدعوات الصالحة ﴿رَبَّنَا آتَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِداً﴾ [الكهف: ١٠] ، ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِنَ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشِداً﴾ [الكهف: ٢٤]

[الكهف: ٢٤].

والأنبياء هم أكثر الخلق رشدًا وهداية ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكَنَّا بِهِ عَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] ، ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعْلِمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشِداً﴾ [الكهف: ٦٦].

إن الرشاد الحقيقي في الإسلام ، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحْرُوا رَشِداً﴾ [الجن: ١٤] ويجب العمل بمقتضاه بعيدًا عن التزييف والتدليس وقلب الحقائق.

استقيموا يرحمكم الله واستجيبوا إذا قيل لكم يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



كيف تتم السعادة الحقيقية؟

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه.
أما بعد :

فالسعادة هي مطلب الناس جمِيعاً ، المؤمن والكافر
والبر والفاجر، وهي الهدف المنشود الذي تسعى البشرية
لتحقيقه، حتى وإن أخطأته الكثرة، وضللت الطريق إليه
فُكانت حياتها تعاسة وشقاوة نتيجة هذا الطغيان المادي.

لقد رأى البعض أن السعادة تكمن في تكديس المال
وجمع الثروات وبناء العقارات والقصور، وهذا وهم عريض،
وإلا فصاحب المال يتعب في جمعه وحفظه واستثماره
ويصيّبه القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله، قال
تعالى : ﴿فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
بِلِعْذَابِهِمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقُ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

قال بعض السلف : يعذبون بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وما له عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة .

وقد قص علينا ربنا جل وعلا قصة قارون فقال سبحانه عنه : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمَهُ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩] وانبهر الناس فقالوا : ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] ، ولم يكن الأمر كذلك فقد كان كافراً بالله تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [٨١] [القصص: ٨١] .

فهل تحققت السعادة بالمال ؟ ! وهل تستغرب إذا أتي هو وأمثاله يوم القيمة وقال : ﴿مَا أَغْنَى عَنِي مَالِيَهُ﴾ [٢٨] [الحاقة: ٢٨] ! .

قال بعض العلماء : مصيبةتان في مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون ، يؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله . ووهم السعادة لم يقصر على المال ، فقد توهمه فريق

آخر في كأس وغانية، وبحث فريق ثالث عن السعادة في الشهرة، حتى لو أتت على حساب دينه، فلا مانع عنده من أن يرقص أو يصبح خنثى أو يصنع من نفسه شيطاناً وحماراً ينهق وكلباً يعوي وينطق بكلمات الكفر رجاءً أن يُطلق عليه اسم الممثل الكبير والفنان القدير، أو يكتب كفراً وينشر ضياعاً كحالة مؤلف «أولاد حارتنا» و«آيات شيطانية» لينال عليها جائزة نوبل أو أرفع وسام في إنجلترا!. إن السعادة الحقيقية ليست في المال ولا في الشهرة ولا في الشهادات ولا في المناصب ولا ما أشبه ذلك من حطام الدنيا، وإلا فلو بحثت عن الإنسان المادي المعاصر فلن تجده إلا في حانة من الحانات، أو مرقص من المراقص، أو نزيل مستشفى من مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية وسط حالات القلق والاكتئاب والاضطراب، وستجد دولاً كالسويد والنرويج والدنمارك وهي من أغنى الدول من حيث دخل الفرد إلا أنها أعلى الدول في نسب الانتحار .

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾



لقد طلب الماديون السعادة في غير مطانتها وتوهموها في دنيا ، لا بقاء لها ولا وفاء ، بل هي كما وصفها سبحانه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ ﴾ [الحديد : ٢٠].

وقال جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مُشْوِى لَهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ [يونس : ٧ ، ٨] ، وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴿٧﴾ [الكهف : ٧].

وكان عمر رضي الله عنه يقول : لو لا أن تنقص من حسناتي لخالطكم في لين عيشكم ، ولكنني سمعت الله عير قوماً فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيَّابَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠].

وقال النبي عليه السلام : « ما لي وللديننا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال تحت شجرة ثم راح وتركها » [رواه الترمذى] ، وقال : حسن صحيح [].

وأوصى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» [رواه البخاري].

وقال سبحانه : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِنُونَ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٦] [هود: ١٥، ١٦].

وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» [رواه الترمذى].

إن السعادة التي ينشدها المسلم لا تقتصر على الدنيا دون الآخرة ، فهو يريد أن يسعد في دنياه وأخراء وأن يكون من الذين سعدوا وفي الجنة خالدين فيها ، ويسائل ربها سعادة لا شقاوة بعدها أبداً ولذلك هو يسلك طريق السعادة ويحذر سبيل الأشقياء ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِّيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [١٠٥] [هود: ١٠٥].

ومن أعظم أسباب الشقاء والتعاسة ، الكفر بالله جل وعلا يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيَّقًا

حرجاً كأنما يصعد في السماء﴿ [الأنعام: ١٢٥]، وكذلك العمل بالمعاصي والآثام والجرائم يقول سبحانه: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [١٢٢] ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا﴿ [طه: ١٢٣، ١٢٤]، وقال: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [١٢] إِذ أَبْعَثْ أَشْقَاهَا﴿ [الشمس: ١٢، ١١] وهو الذي عقر الناقة مخالفًا بذلك أمر ربه .

ومن جملة الذنوب التي تحرق وتشقى بها النفوس الحسد والغيرة ولذلك حذر النبي ﷺ من هذه الآفات فقال: «لا تحسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً» [متفق عليه].

ويدخل في ذلك أيضاً الحقد والغل والغضب والظلم والخوف من غير الله عز وجل والت Shawā'um وسوء الظن والكبر وتعلق القلب بغير الله كتعلق قلب العاشق بعشيقته، ويدخل في ذلك أيضاً النظر المحرم وتعاطي المخدرات التي أدت إلى تفسخ الأفراد والأسر والمجتمعات، والتي هي أيضاً شر من الخمر، ومن موائع السعادة وأسباب الانحلال والتعاسة والشقاء .

وهذه الأسباب المذكورة هي من أسباب الشقاء في الدنيا والآخرة إن لم يتبع صاحبها قبل مماته ، قال تعالى حاكياً عن أهل النار : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون : ٦] وقال : ﴿ فَأَنْذِرْنَاكُمْ نَارًا تَلَظُّى ﴾ [١٤] لا يَصْلَحُهَا إِلَّا الأَشْقَى [١٥] الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى [١٦] [الليل : ١٤ - ١٦] ، وقال : ﴿ وَيَتَجْنِبُهَا الأَشْقَى ﴾ [١١] الَّذِي يَصْلُى النَّارَ الْكُبْرَى [١٧] [الأعلى : ١٢، ١١] وقال : ﴿ وَبَرَّا بِوَالدَّتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيقًا ﴾ [٣٢] [مريم : ٢٣] .

وكان شداد بن أوس رضي الله عنه يقول : اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ، ولن تروا من الشر إلا أسبابه ، الخير بحذافيره في الجنة والشر بحذافيره في النار ، والدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ، ولكل دار بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

وقالوا : ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، وأنتم من الورود على يقين ، ومن النجاة منها «أي من النار» في شك فاعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كُتب له .

وإذا كنت تنشد سعادة الدارين فعليك بالاستقامة على شرعه سبحانه واتباع صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وهذا يتطلب منك الإيمان بالله والعمل الصالح يقول الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وقال : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

وفي الحديث : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » [رواه مسلم] وكان النبي ﷺ إذا اشتد عليه أو حزبه أمر يقول : « أقم الصلاة يا بلال أرحنا بها » [رواه أحمد وأبو داود] وكان يقول « وجعلت قرة عيني في الصلاة » [رواه أحمد والنسائي].

والرضي بالقضاء والقدر سعادة وأي سعادة ، فإن الله بقسسه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى وجعل الأهم والحزن في الشك والسخط قال تعالى : ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا

الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ (٢٥) ﴿ [فصلت: ٣٥] فإن وجد ما يحب قال الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات وإن وجد ما يكره قال : الحمد لله على كل حال، وإذا كان الجهل مصيبة وما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل بالدين، فلا بد من طلب العلم حتى يسهل علينا التفريق بين الإيمان والكفر، والسنة والبدعة والحق والباطل، والسعادة الحقيقية والسعادة الزائفة .

كيف كانت سعادة الأفضل ؟ :

إِنَّ الْكَافِرَ يُشَاكُ بِشُوكَةِ فِيمَلَ الدُّنْيَا عَوِيلًا وَصِيَاحًا ،
أَمَّا الْمُسْلِمُ فَلَهُ شَأنٌ أَخْرَى فَهَذَا خَبِيبُ بْنُ عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَوَّشَوْهُ بِالرَّماحِ وَالسَّيُوفِ فَأَنْشَدَ :

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا

عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مُصْرِعِي

وَلَسْتُ بِمُبِدٍ لِلْعَدُو تَخْشِعًا

وَلَا جُزْعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مُرْجِعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ

يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُمْزَعٍ

وهذا زيد بن الدُّشْنَةَ عندما قبض عليه المشركون
وخرجوا به إلى التنعيم وسائله أبو سيفان : أما تحب يا زيد
أنك في أهلك ومحمد هنا تُضرب رقبته؟ فقال زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
«والله إني لا أحب أن يصاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ بشوكة بين أهله
وأنا في مكاني هذا».

لقد كانت سعادة هؤلاء الأفاضل في القيام بطاعة ربهم
حتى وإن كلفتهم أرواحهم ، وقدموا محبة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ على
محبة المال والأهل والولد ، ولربما اشغل الواحد منهم لحظة
وفاته بإرسال السلام لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ وبالصلوة لربه جل
وعلا ، وكانوا يقابلون الموت غير هيابين ، ويقولون : اليوم
تلقي الأحبة محمداً و أصحابه .

إن السعادة الحقيقية لا تتحقق بسماع الأغنية
والموسيقى ، ولا بمشاهدة الرقصة والفيلم والتمثيلية
والمسرحية أو بغير ذلك من مظاهر الفحش وصور الإعراض
﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]. وقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال

سبحانه : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨] ، ولما اشتكيَ رجل للحسن قسوة قلبه . قال له : أذبه بالذكر .
 وقال رجل لأم الدرداء يوماً : أجد داء لا أجد له دواء ،
 أجد قسوة شديدة وأملاً بعيداً ، فقالت : اطلع في القبور
 وواشهد الموتى .

ومن أعظم أسباب السعادة ، الإحسان إلى الناس ،
 وقصر الأمل ، وعدم التعلق بالدنيا ، والاستعداد ليوم
 الرحيل ، ونظر الإنسان إلى من هو دونه في أمور الدنيا ،
 وإلى من هو فوقه في أمور الآخرة ، ومصاحبة الآخيار
 والصالحين ، ودفع السيئة بالحسنة ، وأن تعلم أن أذى الناس
 خير لك ، وأن الظلم والبغى بمثابة سهم يطلقه صاحبه
 ثم يعود أول ما يعود إلى نحره هو ، وأن الله جل وعلا لا
 تضيع عنده مثاقيل الذر : ﴿يَوْمَ يَعْثُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُبَيِّنُهُمْ بِمَا
 عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
 [المجادلة : ٦].

أهمية الدعاء لتحقيق السعادة :

ولا تننس الالتجاء إلى الله عز وجل وكثرة الدعاء والتضرع إليه سبحانه وقل : «**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**» ^(٢٥) و«**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**» ^(٢٦) [طه : ٢٥ ، ٢٦] وقل : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال» [رواه مسلم]، «اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلي إلی نفسي طرفة عين وأصلح لي شأنی كله لا إله إلا أنت» [حديث صحيح]، «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر» [رواه مسلم] .

ومن دعاء رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماته الأعداء» [متفق عليه]، وكان يقول : «اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ناصيتي بيديك ، ماضٍ في حُكمك ،

عدل في قضاوتك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميتك به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عنك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، نور صدري وجلاء حزني وذهاب همي » [رواه أحمد] .

وأكثر من الاستغفار وقول لا حول ولا قوة إلا بالله ،
واحرص على طاعة الله ﷺ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجاً (٢)
ويَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ [الطلاق : ٢ ، ٣] فما عند الله من خير
وسعادة لا ينال إلا بطاعتنا له ، وأعلم أن العبد إذا ألمهم
الدعاء فإن الإجابة معه : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَّ رَبِّ شَقِيقًا ﴾ [مريم : ٤] .

فاللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا
الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



التحزب

ويذرعه تقسيم الناس إلى مؤيدین ومعارضین

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبیاء: ٩٢]

ويقول سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبیاء: ١٠٨]

فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربي
على أعجمي إلا بالتفوی .

ويقول سبحانه : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ﴾

[الحجرات: ١٣] .

ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد وأن الباطل كثیر لا

ينحصر فالواجب على الإنسان أن يعيش بالإسلام وللإسلام
وأن يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم .

إذا كانت سنة الله قد اقتضت دفعاً بين الحق وبين
الباطل ﴿ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَضَهُمْ بِيَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾
[البقرة: ٢٥١].

فالواجب علينا أن نستن بسنة رسول الله ﷺ في
إقدامنا وإحجامنا ، وفي حركاتنا وسكناتنا وفي أقوالنا
وأفعالنا ، وعلينا أن نستبشر فالعقوبة للمتقين والنصر عقبى
الصابرين الذين يأخذون بالأسباب الشرعية ويستفرغون
وسعهم فيها ويفوضون الأمر كله لله ، والفارق كبير بين
المسلم والكافر ، فالمسلم يحب في الله ويبغض في الله ،
يعطي الله ويمتنع لله ، أما الكافر فإنه يحب لهواه ويبغض
لهواه ، فهو لهواه الذي يقوده إلى حتفه وهلاكه .

إذا كانت النظم الديقراطية عادة تأخذ بنظام تعدد
الأحزاب وكل حزب له برنامجه المعتبر عنه ، وله أيضاً رايته
ومن يمثله ، فهذه الأحزاب منها ما هو شيوعي ماركسي ،

ومنها ما هو وطني ، ومنها ما هو لبيرالي علماني ، وكثيراً ما نرى الصراع يحتمد ليس فقط بين الأحزاب الموجودة على الساحة بل بين أبناء الحزب الواحد لأسباب عديدة ، وتنتهي هذه الصراعات بحروب في أغلب الأحيان ، في أخف أحوالها حروب كلامية وإعلامية وشأنه في ذلك كشأن اليهود والنصارى .

وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَ النَّصَارَى لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتَلَوَّنُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

اختلاف مريب ولا يمكن أن يجتمع الناس اجتماعاً صحيحاً يرضي الله إلا إذا صبغوه بصبغة الإسلام يقول تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] .

وهو لاء الأنبياء دينهم واحد ودعوتهم واحدة ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّسِعُ غَيْرُ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بَهُ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مَنْ دُونَ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه الأحزاب بدعة منكرة ، وهي أثر من آثار الاستعمار أحد ثها المستعمرون ليفرقوا بين أبناء الأمة الواحدة ول يجعلوا أبناء الوطن الواحد شيئاً وأحزاباً بعد ذلك ، نعم وجدت الشورى وحدث نوع من الاستيضاخ أو الإعراض حتى على بعض الخلفاء في حالة مخالفة النصوص الشرعية كما اعترضت - فيما روي - المرأة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد تحديد المهر، ولكن هل سمح بقيام أحزاب بمناهج تخالف دين الله وتکفر به بزعم حرية الرأي والتعبير، تنشر وتروج المبادئ التي تدين بها في وسط المسلمين؟! هذا لم يحدث أبداً وقد رأينا الشمار المرة لهذه الأحزاب من تفريق للناس وتنبذ وترافق بالتهم في

الجرائد والمجلات كما هو حاصل مشاهد ، فالانضمام إلى حزب من هذه الأحزاب هو في نفسه بدعة لا يقرها الشرع ، فكيف إذا انضم مع ذلك عدم تمسك رؤساء الحزب بالدين واتخاذهم الدين طريقاً لنيل أغراضهم ومطلوبهم ولا شك أن من يمشي في ركاب هؤلاء ويهتف بحياتهم ويضحى بنفسه وما له في سبيل حزبهم يصدق عليه أنه باع آخرته بدنيا غيره يقول النبي ﷺ : « من قاتل تحت راية عممية يغضب لعصبته أو يدعو إلى عصبته أو ينصر عصبته فقتل فقتلة جاهلية » [رواه مسلم].

ارتفعت رايات كثيرة مارقة للتكتل تحتها بدل راية الإسلام ، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون ، والدين لا يعرف مثل هذه الأحزاب وإنما يأمرنا إذا أحدق الخطر بنا أن نتعاضد ونتعاون ونقوم قومة رجل واحد للدفاع عن ديننا الذي لا حياة للأئم والأفراد بدونه وما سوى ذلك فهو مراد باطل ضرره أكثر من نفعه بل لا نفع فيه عند التحقيق .

والناظر إلى الدنيا من حولنا سيمجد كتلاً شرقية وغربية وقوميات وشعوبيات ووطنيات ، ثم مناهج وفلسفات بين

أبناء الوطن الواحد ثم تجاه الحاكم ومنهجه ينقسمون إلى مؤيدين ومعارضين وهذه الحالة لابد وأن تشحذ همم المؤمنين الذين يستعينون بربهم ليجاهدوا بدين الله من كفر بالله يدعون الإنسانية كافة لتسليم وجهها لله رب العالمين ويقيمونها خلافة على منهاج النبوة تطبق دين الله وتسوس الدنيا به ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ١].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [١٠٧]

[الأنبياء : ١٠٧].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «المسلمون تتکافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ». .

أبى الإسلام لا أبا لي سواه

إذا افتخرروا بقياس أو تميم
والحب يجب أن يكون في الله والبغض كذلك،
يقول الرسول ﷺ : «أوثق عرى الإيمان الحب في الله

والبغض في الله» [رواه ابن أبي شيبة، وحسنه الألباني].
والحق مقبول من كل من جاء به كائناً من كان، والباطل
مردود على صاحبه أيضاً كائناً من كان، وكل ابن آدم خطاء
وخير الخطائين التوابون وليس منا معصوم ولا كامل.

ولابد من مراعاة أدب الخلاف ، والخلاف الذي يصادم
نصاً من كتاب أو سنة خلاف ساقط وغير معتبر، والميزان
الذي توزن به الأقوال والأفعال وتميّز به الغث والسمين هو
ميزان الكتاب والسنة ، والحاكم الذي يطبق شرع الله إذا
أخطأ في مسألة أو جانب الحق في فعل لا يصح الخروج عليه
ولا تأليب العامة وإحداث الفتنة حوله ، ويقول النبي ﷺ :
«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في
ذات الله فقتله» [حديث صحيح، صححه العلامة الألباني]
في «السلسلة الصحيحة»، رقم (٣٧٤) المجلد الخامس].

وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ،
فالواجب علينا جميعاً أن نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله
عليه وصحابته الكرام و :

كل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها ، يسعنا ما وسعهم من الخلاف ، وتتوحد كلمتنا على منهج الله، وحينئذ سنأخذ بأسباب التطور الحقيقية من العلم النافع ، والعمل الصالح

﴿وَأَعْدُوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوُ اللَّهِ وَعَدُوُكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

و حينئذ أيضاً سنعرف بإذن الله من الذي نواليه ومن الذي نعاديه ، ومن الذي نؤيده ومن الذي نعارضه .

يقول ابن تيمية : «والمؤمن عليه أن يعادى في الله و يوالى في الله ، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يوالى وإن ظلمه ، فإن الظلم لا يقطع المولاة الإيمانية ، قال تعالى :

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾

[الحجرات: ٩].

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغى ، وأمر بالإصلاح بينهم ، فليتبدبر المؤمن الفارق بين هذين النوعين ، فما أكثر ما يلتبس أحدهما بالآخر وليعلم أن المؤمن يجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك ، والكافر يجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه ، والبغض لأعدائه ، والإكرام لأوليائه ، والإهانة لأعدائه ، والثواب لأوليائه ، والعقاب لأعدائه» اهـ .

إنَّ الناس ينقسمون إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين، وإلى حزبين، حزب الله، وحزب الشيطان، وهي هي التسمية الشرعية، التي وردت في الكتاب والسُّنَّة؛ فالناس مؤمن تقي، وفاجر شقيّ، وعلى كل عبد أن يختار لنفسه، في أي فريق يكون، وقد جاهد النبي ﷺ الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجّة والبيان.

والتعصب والاجتماع على حق محمود، والمذموم هو التعصب على الباطل، وهذا يُقال لأهله دعواها فإنها منتنة، ولا تجوز النعرات الجاهلية كقول البعض: «أنا وأخي على

ابن عمِي، وأنا وابن عمِي على الغريب»، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ﴾ [المائدة: ٢].

والتفرقـة والتميـز ليس بمستغرب من الكـفار، والعنـصرـية صـفة إـبـليـسـية مـقـيـة وـقـديـمة، استـخدـمـها إـبـليـسـعـندـما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [ص: ٧٦] ومن تـلـبـسـ بهـذـهـ الصـفـةـ فقد يـؤـديـ بهـ ذـلـكـ إـلـىـ الطـرـدـ منـ رـحـمـةـ اللهـ.

والتمـيـزـ والسبـقـ الحـقـ إـنـماـ هوـ سـبـقـ الفـضـلـ، والـصـفـاتـ التي تـقـرـبـ منـ رـضاـ الرـحـمـنـ، أـمـاـ السـخـرـيـةـ فـهـيـ منـ شـرـ أـنـوـاعـ التـمـيـزـ المـذـمـومـ، قالـ تـعـالـىـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُم﴾ [الـحـجـرـاتـ: ١١].

فالـواـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـحـذـرـ التـحـزـبـ عـلـىـ غـيرـ ذاتـ اللهـ، وـأـنـ نـحـذـرـ العـنـصـرـيـةـ ومـذـاهـبـ التـعـصـبـ وـالـتمـيـزـ التـيـ تـفـرـقـ ماـ أـمـرـ اللهـ بـهـ أـنـ يـوـصـلـ، قالـ تـعـالـىـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعَاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الـأـنـعـامـ: ١٥٩ـ].

ولـابـدـ مـنـ السـعـيـ الحـثـيثـ لـإـقـامـةـ جـامـعـةـ إـسـلـامـيـةـ، وـأـخـوـةـ

إيمانية، وأدب لا يصطدم بالكتاب والسنّة ؟ فالعروبة لن تكون بدليلاً عن الإسلام.

ولابد أن نعلم أنَّ كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، وأنَّ وحدة الفكر تسبق وحدة العمل، لذلك فلابد من الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وأن ننبذ معتقدات الفرق النارية الضالة، وأن يعلم كلُّ منَّا أنه فرد من مجموع ، ينتمي لخير أمة أخرجت للناس.

فلا داعي للأنانية، وأن يكون الواحد أشبه بجزيرة مستقلة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، وأنت بإخوانك كثير وبنفسك قليل وإن كنت عقريًا .

اللهم ألف بين قلوبنا ووحد كلمتنا واجعل بأسنا على عدوك وعدونا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



تقلب الزمان بأهله

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فما ارتفع شيء من الأرض إلَّا وضعه الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾^{١٠٥} ﴿فَيَذْرُرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتًا ﴾^{١٠٦} [طه : ١٠٥ - ١٠٧] ، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ ﴾^{٢٩} [الرحمن : ٢٩] ، سبحانه يرفع أقواماً، ويضع آخرين .

كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق، فجاء
أعرابي فسبقها، فشقَ ذلك على الصحابة ؓ ، فقال ؓ :
«إِنَّ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ» [رواه البخاري (٦٠٢٠) في كتاب الرقاق من
حديث أنس].

فالواجب علينا أن نتعرف على سُنن الله في خلقه، وأن نحسن المسير إليه سبحانه، وأن لا نركن ونطمئن لشيء من الدنيا، فالنَّفْسُ إِلَى موتٍ، وَالْمَالُ إِلَى فُوتٍ ﴿كُلُّ مَا عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) وَيَقِنُ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. قال فرعون لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١] فأجرها سبحانه من فوق رأسه جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبد.

أين قوم نوح وعاد وثمود، وقرونا بين ذلك كثيراً!!
 سارت بهم الأيام والليالي سيراً حثيثاً، فأسلمتهم إلى ربهم، وقدمت بهم على أعمالهم ﴿هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ (٩٨) [مريم: ٩٨]، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَادِ (٨) [الفجر: ٦ - ٨] كانوا عمالقة، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فأرسل عليهم ربنا ريحًا صريراً عاتية ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَابِيَةٌ

(٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) [الحاقة: ٧، ٨] ، زرعتهم الريح في الأرض على أم رؤوسهم زرع بصل كما يقولون .

قال تعالى : ﴿ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفَرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطًا عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرُ صَادِ (١٤) ﴾ [الفجر : ٩ - ١٤] .

فلا داعي للطغيان والكبر والغرور ، لا داعي للتطاول والتآلي على الله ، فأنت من التراب ، وإلى التراب تعود ، أنت اليوم حي وغداً ميت ، ولا بد من الاتعاظ والاعتبار ، فلو دامت لغيرك ما انتقلت إليك ، والحذر كل الحذر من مخالفته أمره سبحانه ، فالبحر مأمور والسماء مأمورة ، والأرض مأمورة ، قال تعالى : ﴿ فَكُلُّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمَنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمَنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمَنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمَنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾ [العنكبوت : ٤٠] ، وقال : ﴿ أَفَمَنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَا بَيَانًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٤١) أَوْ أَمْنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيهِمْ بِأَسْنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٤٢) أَفَمِنْهُمْ مَكْرُ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ

مَكْرُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف : ٩٧ - ٩٩].

دخل داود عليه السلام غاراً فوجد فيه رجلاً ميتاً، وعند رأسه لوح مكتوب فيه: «أنا فلان بن فلان الملك، عشتُ ألف عام، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، وهزمتُ ألف جيش، ثم صار أمري إلى أنبعثت زنبيلاً من الدراديم في رغيف، فلم يوجد، ثم بعثت زنبيلاً من الجواهر، فلم يوجد، فدققت الجواهر واستفتيتها، فمتُّ مكانني، فمن أصبح وله رغيف، وهو يحسب أنَّ على وجه الأرض أغنى منه أماته الله كِياماتي».

والغني الحقيقي هو غنى النفس، فعش طاعة الوقت، وسل الله أن يختتم لك بإيمان، ذُكر أن عبد الرحمن بن زياد لما ولَّ خراسان حاز من الأموال ما قدر لنفسه أنه إن عاش مئة سنة يُنفق في كل يوم ألف درهم على نفسه أنه يكفيه، فرؤي بعد مدةً، وقد احتاج إلى أن باع حلية مصحفه وأنفقها.

والصالحات هي أعظم ما أخرت لغدك ولتأمين مستقبلك، وقدموا لأنفسكم **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾**

منْ خَيْرِ مُحْضَرٍ وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنِهِ أَمْدَأْ
بَعِيدًا وَيَحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

[آل عمران: ٣٠].

لما قُتِلَ عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مروانَ بْنَ مُحَمَّدَ (آخر ملوك
بني أمية في الشام) ونزل في داره، وقعد على فرشه،
دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت: «يا عامر إنَّ دهراً
أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه، لقد أبلغ في عظتك» .
وقال مالك بن دينار: «مررتُ بقصر تضرب فيه
الجواري بالدفوف، ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب،
وبه عجوز، فسألتها عما كنت رأيت وسمعت، فقالت: يا
عبد الله، إنَّ الله يغير ولا يتغير، والموت غالب كل مخلوق،
وقد والله دخل بها الحزن، وذهب بأهلهما الزمان» .

ولما هاجر الصحابة رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، نظر
البعض إلى الديار التي كانت عامرة بأهلهما، ثم صارت
خراباً، فأنشد يقول:

وكل دار وإن طالت سلامتها يوماً ستدركها النكبة والجوب

وقال عبد الملك بن عمير: رأيت الحسن خطيب بين يدي ابن زياد في قصر الكوفة، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك.

قال سفيان: فقلت له: كم كان بين أول الرؤوس وأخرها؟ قال: اثنتا عشرة سنة.

إنَّ للظالم قاتلاً لا يموت، وربك هو الحكم العدل، والجزاء من جنس العمل، اعمل ما شئت كما تدين تُدان.

دخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال: أي الزمان أدركته أفضل، وأي الملوك أكمل؟ فقال: أما الملوك فلم أر إلَّا حامداً وذاماً، وأما الزمان فيرفع أقواماً ويضع آخرين، وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم، ويفرق عديدهم، ويهزم صغيرهم، ويهلك كبيرهم. جرت العادة في تهذيب الذين تردوا في الرذائل حتى فسدت أخلاقهم، متى تركوا تعاطي الإحسان والأفضال، وتحري العدالة فلا يأتونها لا خلقاً ولا تخلقوا، ولا رباء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة، فصاروا في تعاطي الشر سواسية كأسنان

الحمار، وعدمت فيهم الفضيلة، فحيئذ إن بقى في نفوسهم أثر قبول الخير أنشأ الله فيهم من يهدىهم باللسان والسيف، كبعثة النبي ﷺ في العرب لما بقى فيهم من أثر الخير، من تعظيم الشهر الحرام والبيت الحرام، والوفاء بالذم، وإن قل فيهم أثر قبول الخير سلط الله عليهم سيفاً جائراً ﴿وَكَذَّلِكَ نُولِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٩)

[الأنعام : ١٢٩].

إِنَّ اللَّهَ يَنْتَصِفُ مِنْ أُولَيَائِهِ بِأُولَيَائِهِ، وَمِنْ أَعْدَائِهِ بِأَعْدَائِهِ، وَيُعَامِلُهُمْ بِمَا عَامَلُوهُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، حِيثُ سُلْطَنُهُمْ بِخَتْنَاصِرٍ، وَإِنْ عَدَمْتُمْ أَثْرَ الْقَبْوُلِ، بَعْثَتْ عَلَيْهِمْ عَذَابًا يَفْنِيهِمْ إِمَّا طَوْفَانًا أَوْ صَيْحَةً أَوْ نَارًا مُحْرَقَةً، أَوْ رِيحًا فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَوْ الْجَرَادُ وَالْقَمَلُ وَالضَّفَادُعُ وَالدَّمُ؛ لِيُطَهِّرَ مِنْهُمُ الْبَلَادُ، وَيُرِيحَ مِنْهُمُ الْعِبَادُ، كَمَا صَنَعَ اللَّهُ بَعْدَ وَثْمَوْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ، وَذَلِكَ كَالْأَرْضِ إِذَا اسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الشَّوْكُ فَلَا يَبْدِي مِنْ نَسْفَهَا أَوْ تَسْلِيْطَ النَّارِ عَلَيْهَا حَتَّى تَعُودُ بِيَضَاءِ، وَلَا يَرْزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَيَّنُوا، فَإِذَا تَساَوَوْا هَلَكُوا.

إِنَّ تَقلبَ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ مِنْ الْمَعْانِي الْمَشَاهِدَةُ، وَفِي ذَلِكَ

عظة وعبرة لأولي الألباب ، فالغني قد يصير فقيراً ، والفقير يصير غنياً ، والقوى يصير ضعيفاً ، والحاكم قد يصبح محكوماً عليه ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠] ، وقال سبحانه ب شأن ما حدث يوم أحد : ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مُّثِلُهُ وَتَلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فقد قُتل سبعون من المسلمين يوم أحد ، وهو نفس العدد الذي قُتل من المشركين يوم بدر ، ونزلت هذه الآيات تسلية لل المسلمين في مصابهم وقرحهم ، ولا سواء ؛ فقتلانا في الجنة ، وقتلاهم في النار ، والله مولانا ولا مولى لهم .

ولله الحجة البالغة ، والحكمة الباهرة حتى وإن خفيت على عقولنا القاصرة ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾

[العنكبوت: ١ - ٣].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وأيم الله ، ما كان قوم قط

في خفض عيش فزال عنهم إلّا بذنب اقترفوها؛ لأنّ الله تعالى ليس بظلام للعبيد، ولو أنَّ الناس حين ينزل بهم الفقر، ويزول عنهم الغنى فزعوا إلى ربهم بصدق نياتهم لردّ عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد.

يقولون الزمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمان وكفى بالقرآن واعظاً، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١].

وكان يقال : إذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتي الخير.

وقيل : بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال.

ويقال : زمام العافية بيد البلاء، ورأس السلامة تحت جناح العطب.

وقال بعضهم : نحن في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشر إلّا إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلّا طمعاً. اضرب بطرفك حيث شئت، هل تنظر إلّا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتّخذ بحق الله وفراً، أو متمرداً كان يصمّه عن سماع الموعظ وقرأ.

وقال آخر : نحن في زمان إذا ذكرنا الموتى حييت القلوب ، وإذا ما ذكرنا الأحياء ماتت القلوب ، ولا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتني مكانه ، كم من إنسان ركب البحر ثم ركبه البحر ، وملائين البشر ساروا على وجه الأرض حيناً ، ثم طوتهم الأرض في بطنها .
ويُقال : لا يقاوم عز الولاية بذل العزل .

وقال يونس بن ميسرة : لا يأتي علينا زمان إلا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان إلا بكينا عليه ، ولن يأتي على الناس زمان إلا والذى بعده شر منه .

وحكى عن شيخ من همدان قال : بعضني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع الحميري بهدايا ، فمكثت شهراً لا أصل إليه ، ثم بعد ذلك أشرف إشرافاً من كوة له ، فخرّ له من حول القصر سجداً ، ثم رأيته بعد ذلك ، وقد هاجر إلى حمص ، واشتري بدرهم لحماً وسمطه خلف دابته .

فتعرّف على السنن الكونية والسنن الشرعية ، وكن على بصيرة من أمرك وأمر الناس ، ولا داعي للاغترار ؛ فإن اغترار بالله حمق ، كان أبو بكر الصديق ثواعته وهو المبشر بالجنة

يقول: لو أنَّ إحدى قدمائِي في الجنة والأخرى خارجها، ما
آمن مكرَ الله، ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرُ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩٩)
[الأعراف: ٩٩].

ولا تفرح في بلوى أخيك فيعافيه الله ويبتليك، ولا
داعي للشماتة؛ فقد تعوذ النبي ﷺ من درك الشقاء، وسوء
القضاء، وجهد البلاء، وشماتة الأعداء، ولتكن بما في يد
الله أوثق منك بما في يد نفسك، وأن يكون حالك في
المصيبة وحالك إذا لم تُصب بها سوء، وأن يكون مادحك
وذامك في الحق سوء.

عُذْ على نفسك باللائمة، ولا تسب الدهر، واعلم أنَّ
الله غير مطعون في قضائه، فهو سبحانه بقسطه وعلمه
جعل الروح والفرح في اليقين والرضى، وجعل الهم والحزن
في الشُّكُّ والسُّخط؛ فاعمل عمل رجل لا يُنجيه إِلَّا عمله،
وتوكِّل توكلَّ رجل لا يُصِيبه إِلَّا ما كُتب له، وقل:
﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (٨٤) [طه: ٨٤].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ماذا نفعل

إذا داهم العدو ديارنا !

بسم الله ، والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله ،
وعلى آله وصحبه ومن وآله .
أما بعد :

فنحن نعيش في وقت كثر فيه الكذب ، وضاعت فيه
الأمانة ، ونطق الرويبة ، وهو السفيه يتكلم في أمر العامة ،
وخرق الأمان ، وأوتمن الخائن ، وصار الحب والبغض لأجل
الدنيا ، والولاء والبراء ليس لله فيه نصيب ، وسميت الأشياء
بغير اسمها ، وقت غربة وجهالة صار فيه المعروف منكراً
والمنكر معروفاً ، وقت انتكست فيه المفاهيم وانعكست فيه
المعايير ، وقد جلست مع نفسي متأملاً كما جلس عمر بن
عبد العزيز مع نفسه ثم نطق وقال : قبور خرقت الأكفان
ومزقت الأبدان ، مصت الدم وأكلت اللحم ، تُرى ما صنعت
بهم الديدان ، محنت الوجوه ، وكسرت الفقار ، وأبانت

الأشلاء، ومزقت الأعضاء، ترى أليس الليل والنهار عليهم
سواء، أليس هم في مدلهمة ظلماء، كم من ناعم وناعمة
قد أصبحت وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية،
قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دماً
وصديداً، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام
رميماً، ثم قال: ليت شعري كيف ستصبر على خشونة
الشري، وبأي خديك سيبداً البلى، وقال: يا ساكن القبر
غداً ما الذي غررك من الدنيا، أين دارك الفيحاء، بل أين
رقاق ثيابك؟ .

جلست أتفكر في حالنا إذا داهم الكفرة الفجرة ديارنا
لا تمنيا للبلاء فكلنا يسأل ربه العافية واليقين، ولكن أحاول
التشبه بأنس بن النضر رضي الله عنه عندما غاب عن غزوة بدر،
فقال: لأن أشهدني الله غزوة أخرى ليرين ما أصنع، فلما
كانت غزوة أحد سمع بمقتل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه - هكذا صاح
فيهم الشيطان - ورأى أنس انكشف أصحابه في مواجهة
المشركين، فتبراً إلى الله بما صنعة الكفار واعتذر إليه سبحانه
ما جاء به إخوانه .

وقال قوله المشهورة : إن كان محمد قد مات فعلام الحياة
بعده ، قوموا فموتوا على مثل ما مات عليه ، ثم قال : وآه
لريح الجنة إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ، فقاتل حتى
قتل وما عرفته إلا أخته بطرف بناته وفيه وفي أمثاله نزل
قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [٢٣] .

إن الأعداء يتربصون بنا الدوائر ويحاولون افتراسنا الدولة
تلوا الأخرى ، ولسان الحال ينطق أكلت يوم أكل الشور
الأبيض ، ومن اطمئن إليهم ووثق فيهم باه بخسران مبين فلا
عهد لهم ولا ميثاق ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا فَتَمْسَكُمُ النَّارُ﴾ [هود : ١١٣] ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥١]
[المائدة : ٥١] ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا بَطَانَةً
مَنْ دُونُكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُونَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

كيف نؤمنهم وقد خونهم الله، وكيف نعزهم وقد أذلهم الله، وكيف نكرمهم وقد أهانهم الله؟!، ﴿ هَأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتَؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٩]، ﴿ وَلَا يَنْبَغِي مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤].

إنهم يحاولون طمس هويتنا ويحاربون عقيدتنا ويسعون جاهدين لنشر الحرية الإباحية والديمقراطية اللواطية ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُوْكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧]، ﴿ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٦]، وهذا قول العليم بخلقه بعيداً عن التزييف والتدلیس والغش والخداع وشعارات الحرية والرخاء والأمن والاستقرار.

وهم في سبيل نشر كفرهم وضلالهم لا تأخذهم شفقة ولا رحمة بالنساء والأطفال، وكما شاهدناهم هنا وهناك يقتلون شيوخاً رُكع وبهائم رُتع وأطفالاً رُضع ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبه : ١٠]، ولا يراعون حرمة بيوت الله وشأنهم في ذلك قدِيماً كشأنهم حديثاً يغيرون الشعارات التي يرددونها والثياب التي يلبسونها كشأن الحياة

التي تغير جلدها والحرباء التي تغير لونها ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة : ١٢٠].

أخذت أتفكر وأتأمل ماذا أصنع إذا داهم الكفار بلدي الذي أحبه وأرجو خيره وأمنه واستقراره، هل سأتركهم يدمرون البلاد والعباد لأجل تطبيق الديمقراطية وتحقيق الرخاء والأمن والاستقرار؟ !.

إن الشرع والواقع يكذب دعاوى هؤلاء الكفرة الفجرة، بل ويكذب أيضاً دعاوى الوطنين والقوميين والاشتراكيين والبعثيين، في محبتهم للبلاد والعباد، فالمحبة الحقيقة تكمن في الدلالة على طريق الإيمان ومتابعة منهج الأنبياء والمرسلين، وانتشال الخلق من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

فالنظم الوضعية والفلسفات الكفرية والأديان المحرمة والمغيرة والبدلية لا تحمل في طياتها خيراً ولا رخاءً ولا أمناً ولا استقراراً، بل هي الدمار للحاضر والمستقبل والهلكة للبلاد والعباد، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً

أَمْرَنَا مُتَرْفِهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ فَدَمَرَنَا هَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ [الإِسراء : ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رِبَكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠٢] [هُود : ١٠٢]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهُوي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [٣١] [الحج : ٣١].

أَنْعَصِي جَبَارَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَنَرْجُو رَحْمَتِهِ وَنَنْشُدُ الْأَمْنَ مَعَ كَفَرِنَا وَنَحْنُ فِي قَبْضَتِهِ؟! ﴿أَفَامْنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَا بَيَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [٩٧] أَوْ أَمْنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَا ضُحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ [٩٨] أَفَامْنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [٩٩] [الأعراف : ٩٧-٩٩].

إِذَا الإِيمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانٌ، وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يَحْيِي دِينَهُ، فَالْأَمَانُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالإِيمَانِ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَانُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢]

[الأنعام : ٨٢].

فَالْمُؤْمِنُ هُوَ الَّذِي يُحِبُّ بَلْدَهُ وَأَهْلَهُ مُحِبَّةً حَقِيقَيةً مُجْرَدَةً مِنَ الْأَطْمَاعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَالْمَنْهَاجُ الإِيمَانِيُّ هُوَ الَّذِي

يتتحقق به الأمان والأمان في حياتنا الدنيوية والبرزخية والأخروية لكافة الخلق أتم تحقيق وشاهد ذلك كثيرة في حياة الأنبياء وأتباعهم فهذا صاحب يس يترك عمله وراحتته وأهله ويأتي من أقصى المدينة يسعى لدلالة القوم على طريق السعادة والنجاة ﴿قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) اتَّبعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلَهَةً إِنْ يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمِنُتُ بِرِبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ (٢٥)﴾

[يس : ٢٠-٢٥].

فأخذوه وقتلوه فنصحهم ميتاً كما نصحهم حياً :
 ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾ [يس : ٢٠-٢٦].

ثم لما قتلوا هانوا على ربهم، فكانت هلكتهم ولو آمنوا لكان خيراً لهم، قال تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلَنَا عَلَىٰ قَوْمَهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزَلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ

إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢) [يس : ٣٠ - ٢٨] .

أخذتُ أتأمل الصور والأشكال التي تحدث إِذَا داهم الكفراة بلدي، ولا بد من تسمية الأشياء باسمها، وتقريراً للمعاني في وقت تقلص فيه الشعور وضعاف الإحساس بمحاسب المسلمين هنا وهناك، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضًا، «ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إِذَا اشتكتى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

هل نحن صادقين في شعورنا بشعور الجسد الواحد تجاه قضية فلسطين والغراق؟، قلت لنفسي لو داهم العدو بلدي وقتل الشيوخ والنساء والأطفال - الموت أقرب من أحدهنا من شراك نعله - هل كنا سنتنشغل بتسريرحة الشعر ومتابعة الموضة، ومشاهدة المبارزة والدخول في حوارات حادة وعنيفة على الأفلام والأغاني وأيهما أفضل القديمة منها أم الحديثة.... وهل يصلح العلماني اللاديني والمرابي والراقصة... لمواجهة الكفراة الفجرة الذين أتوا بخبلهم

وخيالاتهم يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً. لن نعدم من يقول بلسان حاله ومقاله : « أنا ومن بعدي الطوفان »، ويدخل بيته طلباً للسلامة مزعومة حتى يذبحونه فيه أو يقذفونه بأسلحة الدمار التي لا تبقي ولا تذر، ويا حسرتاً على من تلظى بنيران القومية والبعثية والاشراكية.. تارة، ثم بنيران الكفر والديمقراطية اللواطية تارة أخرى، ينتقلون من دمار إلى دمار ويقلبون بين رحى المهلكات من هنا وهناك .

إن القاعد عن دفع الكفار عن عقر داره إما أن يكون مكذباً أو مخرباً، وتخيلوا لو أحاطت بنا النيران من كل ناحية، فشأن العقلاء أن يخدموا النيران أو يسارعوا بالهرب منها طلباً للسلامة والنجاة، فلو قعدوا مكانهم ولم يحركوا ساكناً، فهو لاءٌ إما أن يكونوا مكذبين بوجود النيران وإما أن يكونوا مخربين .

هذه المسألة التي نتكلم عنها لا تحمل الفذلة ولا الفلسفة ولا تحتمل الإِجْهاد العقلي أو تتطلب عقولاً كبيرة لفهمها بل هي قضية تفهمها الحيوانات، فالأسد يدافع عن

عرينه، والقط يستخدم مخالبه للدفاع عن نفسه والحمام يحوم حول عشه ويحمي وكره، ولكن يبدو أن البشر عندما ينسليخون عن شرع ربهم يفتقدون أبسط معاني الإدراك ويضيغون أنفسهم فلا عقل ولا شرع حتى وإن زعموا العقلانية، ولربما سعى البعض من جلدتنا ومن يتكلم بلساننا في إعانة الكفار وصار بذلك حرباً على الإسلام وأهله وأداة لقتل النساء والذرية، أشبه بمحلب القط والنعل الذي يدخلون به الحمامات يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ويؤثرون الفاني على الباقي، وما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرث الماء على المال والشرف (الرياسة) لدینه، وهذا الضعف هو إلى النفاق أقرب، قال تعالى : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]. وقال تعالى : ﴿أَيَتَغُونَ عِنْهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

صور وأشكال أستعرضها وأنا أتأمل وأفكـر إذا داهم

العدو بلدنا، ولست من يرجم بالغيب، فالواقع أغرب من الخيال ومن طالع السنن والسير علم أصناف البشر، فخذلوا حذركم وقدموا لأنفسكم، وعودوا للدينكم عوداً حميداً، ﴿وَأَعْدُوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ﴾ [الأనفال : ٦٠]، تخلينا عن أسباب قوتنا الحقيقة فصال الكفارة وحال الفجرة خلال ديارنا، وبتنا ننتظر الدور متى نُذبح !!.

ومن المصححات المبكيات :

أن يُرمى من دفع الكفار عن عقر داره بالإرهاب، وكأن المطلوب أن نقدم رقاب البلاد والعباد والنساء والذرية للمقصولة ونحن نبتسم بل ونهنئ الكفارة على ذبحهم لنا نشراً للأمن والرخاء !!، ومن اعترض انطرد ورمتي بدائها وانسلت وكاد المريب أن يقول خذوني، كل ذلك تصوراته وتخيلته، ولكن ما أحزني وكدت أجزع بسببه وانتابتني الحيرة تجاهه، أن أجده السيف على رقبتي والعدو قد داهم بلدي التي أحبها وأحب أهلها وأشاهد آثار الدماء وأسمع صرخ النساء والأطفال، وبدلأ من نصرة المسلمين لنا أسمع

خذلاناً وتخذيلاً، فهذا يدس رأسه في الرمال وكأن دماء المسلمين لا تعنيه، والثاني يتبعج أكثر ويقول: لا تعينوهم، والثالث ينساني حتى في دعائه، وإذا تذكر تذكر قضية فلسطين وكأنها تفترق عن قضيتي، والمذابح هناك تفترق عن المذابح التي تجري معي، والرابع اعتبره قتال فتنة، وأن المسلمين يقتل بعضهم بعضاً، وذلك لوجود بعض المنافقين في صفوف الكفرا الذين انتهكوا حرمة البلاد والعباد.

صورة محزنة من شأنها أن تقطع ما أمر الله به أن يُوصل، ولا يمكن أن تتحقق بها أخوة إيمانية، كلمات تصادم الشرع والواقع ولا يمكن احترامها ولا توقيرها، وإن التمتنع أنا عذرًا لأهلها فيما هو شعور المسلمات التي ينتهك عرضها والصغار الذين يواجهون هذه الهجمة التatarية البربرية في دنيا، افتقدت معانى الشفقة والرحمة من القريب والبعيد قبل افتقادها لمعانى الفقه والدين .

لقد اتفق العلماء على أن جهاد الكفار ودفعهم عن ديار المسلمين فرض عين، فإذا لم تحصل الكفاية بأهل بلدي انتقل الوجوب إلى الأقرب فالأقرب، فالمسلمون كلهم يد

على من سواهم، وإذا تعين الجهاد خرجم المرأة دون استئذان الولي والزوج، وخرج الولد دون استئذان والديه، والعبد دون استئذان سيده، والمدين دون استئذان صاحب الدين، كل بحسبه وبما يستطيعه من دفع الكفار عن هذا البلد الغالي، ولا يشترط وجود قيادة فإن استطاعوا تقديم الأصلح فعلوا .

قال الجصاص : « ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الشغور من العدو ولم تكن فيهم مقاومة لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذارياتهم أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إلية من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة إذ ليس من قول أحد من المسلمين إباحة القعود عنهم حتى يستبيحو دماء المسلمين ونبي ذارياتهم، فليخشى من يخذل إخوانه المسلمين أن يخذله الله في موطن يحتاج فيه لنصرته، فقد جرت السنن بذلك، فمن قدم يد العون فلنفسه أuan، ومن فرج كربلة أخيه فرج الله كربلته، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، والجزاء من جنس العمل، اعمل ما شئت كما

تدين تُدان، أما نحن فقد نفضينا أيدينا وقلوبنا من
الخلوقين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدُهُ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر : ٣٦].

لن نلتفت لشرعية دولية، ولا لهيئات ومؤسسات
مشبوهة تكيل بمكيالين لا تبالي بدمائنا ودماء المسلمين
التي تسيل أنهاراً هنا وهناك، وتقيم الدنيا ولا تقعدها من
أجل حقوق الحيوان أو من أجل الكفرة الذين هم أهون
على الله من الجعلان، ولا يسعنا ونحن نجاهد العدو بالنفس
والمال من أن نضم إلى ذلك جهاد الكلمة، فالكلمة
خطورتها كبيرة، وكم من كلمة أورثت حزناً طويلاً
وأوقعت في البلاد والعباد إرجافاً وتخذيلاً، وكم من كلمة
أيضاً كانت أوقع من الحسام المهندي، ولا حجر على سعة
رحمة الله، فالبلاد تفتح بالقرآن كما تفتح بالسيف
والسنان، واعلموا أن الخوف إنما يكون من الله وحده، فمن
خاف الله خافه أعداؤه، ومن لم يخش الله خاف من كل
شيء ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾



قضيتنا وقضايا المسلمين ما يصح أن تسقط بالتقادم
فمن ديسن مقدساته وانتهكت حرماته، وسفكت دماءه
للحظة وجب نصرته، فكيف يكون الحال مع من يعاني
ذلك سنوات، ما يليق أن يعترينا النسيان لواجبنا ولحقوق
المسلمين المسوحوقين من حولنا، فالله سائلنا عن ذلك، وعند
الله تجتمع الخصوم، والكل موقوف به فأعدوا للسؤال جواباً.

بكى يونس بن عبيد عند موته وسئل عن سبب بكائه
فقال: - وهو من هو - ما أغربت قدمي في سبيل الله، ومن لم
يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق،
وكان أوياس بن عامر - سيد سادات التابعين - يعتذر إلى ربه
من أن يبيت شبعاناً وفي الأرض ذي كبد رطبة جائع، وكان
يرقع ثوبه - رحمه الله - فإذا تنوّعت أمامك الأكلات فتذكرة
إخوانك في العقيدة لا يجدون رصيفاً آمناً يسكنونه، ولا
كسرة خبز يأكلونها، وإذا جلست بين أهلك وعيالك آمناً
في سربك فكيف يكون حالك إذا تبدل الموضع وعانياً ما
يعانيه إخوانك من انتهاك عرض وذبح والد وولد، تذكر
كيف فتحت عمورية لأجل امرأة كشفت عورتها،

فاستصرخت وبلغ ذلك المعتصم فركب فرسه وتبعه الجيش
وفتح عمورية، ثم قال : أين التي استصرخت ؟ .

وشهد النبي ﷺ حلفاً في دار عبد الله بن جدعان في
الجاهلية، وكان الحلف لنصرة المظلوم، وقال ﷺ : « لو
دُعِيتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجْبَتُ »، والمظلوم اليوم هو المسلم
الذي يقول : رضيت بالله ربّا وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ
نبياً ورسولاً، وحكي لنا سبحانه قصة ثمود قوم صالح مع
الناقة عندما خرج قدار بن سالف بعقر الناقة برضى قومه،
قال تعالى : ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمِدِمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَاهَا﴾ (١٤)
وَلَا يَخَافُ عَقِبَاهَا (١٥) [الشمس : ١٤-١٥] .

وحرمة المسلم أعظم من حرمة ناقة صالح، بل وأعظم
من حرمة الكعبة المشرفة، كان ابن عباس رضي الله عنهما ينظر إلى
الكعبة ويقول : إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ وَشَرِيفٌ وَحَرَمٌ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ
أَعْظَمُ حَرَمَةَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْكُمْ .

عباد الله :

من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، وإن أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم، وإن أساءتم فلها، ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن

أَسَاءَ فَعْلِيهَا، وَلَنْ نُهْزَمْ مِنْ قَلَةَ، وَإِنَّا النَّصْرَ صَبْرَ سَاعَةٍ وَلَا عَزَّ
إِلَّا فِي طَاعَتِهِ سَبْحَانَهُ، وَالذَّلِّ وَالصَّغَارَ عَلَىٰ مِنْ خَالِفِ أَمْرِهِ
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) [آل عمران : ١٣٩].

وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَعْفِكُمْ وَاسْتَضْعِافُكُمْ، فَمَا النَّصْرُ إِلَّا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ
تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُكُمُ النَّاسُ فَآوَّلُكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ
الطَّيَّابَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦) [الأَنْفَال : ٢٦].

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِنَا، وَقَلَةَ حِيلَتِنَا، وَهُوَ أَنَا
عَلَى النَّاسِ، يَارَبِّ الْمُسْتَضْعِفِينَ أَنْتَ رِبُّنَا، إِلَىٰ مِنْ تَكَلْنَا،
إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنَا، أَمْ عَدُوٌّ مُلْكَتِهِ أَمْرَنَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ
عَلَيْنَا غَضَبٌ فَلَا نَبَالِي، وَلَكَ عَافِيَّتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لَنَا، نَعُوذُ
بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقْتَ لَهُ الظُّلُمَاتِ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ
الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا
بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ بِكَ نَسْتَغْيِثُ وَبِكَ نَسْتَجِيرُ، فَاجْبَرْ كَسْرَنَا،
وَارْحَمْ ضَعْفَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ عَدُوِّكَ وَعَدُونَا.
وَآخِرُ دُعَائِنَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



شمار تدبر القرآن الكريم

بسم الله ، والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله
 وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فالقرآن هو كلام الله ، وهو أحسن الكلام ، هو حبل الله
المتين والذِّكر الحكيم والصراط المستقيم ، أنزله سبحانه على
نبيه ﷺ وتعبدنا بتلاوته ، من عمل به أجر ، ومن حكم به
عدل ، ومن دعا إليه هُدًى إلى صراط مستقيم ، لا تشبع منه
العلماء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تزيغ به الأهواء ، من
تركه من جبار قصمه الله ، أنزله سبحانه لينذر من كان حيَا
ويحق القول على الكافرين .

قال : ﴿لَوْأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاسِعًا
مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر : ٢١] ، فإذا كان هذا شأن
الجبل فكيف يكون حال المخلفين ؟! ، وهل يليق بهم
الubit والمزاح واللَّعب أثناء سماع الآيات البينات ؟ ، لقد

بلغ التدبر في آيات الله كل مبلغ، فكان الواحد يمر بقوله تعالى : ﴿ وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [١٠٩] . [الإسراء : ١٠٩] ، فيسجد ثم يقول لنفسه هذا السجود فأين البكاء، وسمع أبو الدجاج قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، فقال : أوَ يَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْقَرْضِ ، فتصدق بيستان له فيه ستمائة نخلة .

ثم ذهب لزوجته يخبرها، فقالت : بشرك الله بالخير، ولم تلطم خداً أو تشق جيماً، أو تقول له ضيعتنا، بل عمدت إلى صغارها، تخرج ما في جيوبهم وأيديهم من تم ، لأن البستان قد صار لله تعالى ، وكانوا ربما قرأوا الآية الواحدة طوال الليل يتدبرون معناها، فقد قامت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها الليل كله تردد قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [٢٧] إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ [٢٨] . [الطور : ٢٧-٢٨] .

وقام سعيد بن جبير - رحمه الله - بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [آل بقرة: ٢٨١]، ويمر الواحد بالآية تبكيه كما صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما مر بقوله تعالى: **«إِنَّمَا أَشْكُو بَثِي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ»** [يوسف: ٨٦]، سمع نشيجه من مؤخرة المسجد.

ولم يقتصر ذلك على الراسخين في العلم، حديثي العهد بمعرفة الإسلام، حكى عبد الواحد بن زيد قال: ركبنا سفينه فانكسرت بعرض البحر، فأوفاتنا إلى جزيرة، فرأينا رجلاً يعبد صنماً، فقلنا ما تعبد؟ فأشار لهذا الصنم، وقال: وأنتم ما تعبدون قلنا نعبد الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاوه، قال: فما دليلكم عليه؟، قلنا: بعث إلينا رسول الله، قال: وأين هو؟، قلنا قبضه الله إليه، قال: فما علامتكم عليه؟، قال: ترك لنا كتاب الملك، قال: أرونيه، قال عبد الواحد: فدفعنا له مصحفاً، قال: لا أحسن هذا (أي لا يحسن القراءة).

يقول: فقرأنا له سورة من كتاب الله، وهو يبكي ويقول: ما ينبغي لمن كان هذا كلامه أن يعصى، قال

عبد الواحد : فعلمناه من شرائع الإسلام حتى آوانا الليل فنمنا، فقال : إِلَهُكُمُ الَّذِي تَعْبُدُونَنَّهُ يَنْامُ؟ ، قلنا : مولانا حي قيوم لا ينام ، قال : بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام .

يقول عبد الواحد : فتعجبنا له ، وبلغنا عبادان فدفعنا له مالاً ، فقال سبحان الله ، دللتمني على طريق لم تسلكه إني كنت أعبد صنماً في البحر فلم يضيعني فكيف بعد ما عرفته . وهذه القصة الطريفة التي حكها ابن الجوزي تدل على مبلغ تدبر الرجل وفقهه رغم حداثة تدينه ، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء .

خرج هارون الرشيد يوماً من مجلس الإمارة فاعتراضه يهودي ، وقال له : اتق الله فنزل هارون من على دابته وسجد على الأرض فقال له أتباعه إنه يهودي ، قال هارون : « اتق الله » ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخْذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبَهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة : ٢٠٦] .

فكان عملهم ووعظهم وتذكيرهم يدل على عظيم تدبرهم لآيات الله ، ومن ذلك لما قدم سليمان بن عبد الملك المدينة ، وذهب إليه الناس يهنتونه وامتنع أبو حازم فبعث له

سلیمان يعاتبه، ويقول له : وجوه الناس زاروني وأنت لم تزرني ، فقال له أبو حازم : أنت لم تعرفي قبل هذا وأنا لم أرك قبل هذا اليوم ، قال يا أبا حازم ، قل لي : لماذا نكره الموت ، قال : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتם الآخرة ، فتخافون أن تخرجوا من العمران إلى الخراب ، قال : فما لنا عند الله غداً ، قال : اعرض نفسك على كتاب الله ، قال : وأين أجده ، قال : عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحَّمٍ﴾ (١٤) يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبٍ﴾ (١٦) [الانفطار : ١٣ - ١٦] ، وقال : فأين رحمة الله إذن ؟ قال : ﴿قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] فهذا التدبر يورث الحزن والفتنة ودقة التمييز بين الطيب والخبيث والفاسد والصحيح و يجعل الإنسان راغباً راهباً كما أنه يفضي إلى رسوخ الإيمان في القلب .

قال ابن القيم - رحمه الله - :

الناس ثلاثة : رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له ، ليست الآية ذكرى في حقه ، فهذا الثاني : رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها

الله عن الآيات المشهودة إِما لعدم ورودها، أو لوصولها إِليه، وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضراً، فهذا أيضاً لا تحصل له الذكرى، مع استعداده وجود قلبه .

والثالث: رَجُلٌ حِيُّ القلب مستعدٌ، تُلِيتُ عليه الآيات، فأصْغَى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهدُ القلب، مُلْقِي السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة .

فالأول : بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصِّرُ .

والثاني : بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير الجهة المنظور إليها، فكلاهما لا يراه .

والثالث : بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره وقابل، وقابلة على توسط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه .

فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور، فاعلم أن الرجل قد يكون له قلبٌ وقادٌ، مليءٌ باستخراج العبر، واستنباط الحكم، وهذا قلبه يوقعه على التذكرة والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نوراً على نورٍ، وهؤلاء أكملُ

خلق الله، وأعظمهم إيماناً وبصيرة، حتى كان الذي أخبرهم به الرسول مُشاهِدَ لهم، لكن لم يشعروا بتفاصيله وأنواعه، حتى قيل : إن مثل حال الصديق مع النبي ﷺ كمثل رجلين دخلا داراً، فرأى أحدهما تفاصيل ما فيها وجزئياتها، والآخر وقعت يداه على ما في الدار ولم يرى تفاصيلها ولا جزئياتها، لكن علِمَ أن فيها أموراً عظيمة، ولم يُدركْ بصره تفاصيلها، ثم خرجا فسألة عما رأى في الدار فجعل كلما أخبره بشيء صدقه، لما عنده من شواهد، وهذه أعلى الدرجات الصدقية، ولا تستبعد أن يَمْنُ الله المnan على عبد بمثل هذا الإيمان فإنَّ فضلَ الله لا يدخل تحت حَصْرٍ ولا حُسْبَانٍ .

صاحب هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نورٌ من البصيرة ازداد بها نوراً على نوره، فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقي السمع وشهد قلبه ولم يغب حصل له التذكرة أيضاً، ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابْلُ فَطَلُ﴾ [البقرة : ٢٦٥]، والوابل والطل في جميع الأعمال وآثارها ومحاجاتها، وأهل الجنة سابقون مقربون وأصحاب يمين، وبينهما في درجات التفصيل ما بينهما ؟ .

وقد وردت الآيات تستحث العباد على التدبر:

- قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].
- وقال : ﴿أَفَلَمْ يَدْبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوْلَى﴾ [المؤمنون: ٦٨].
- وقال : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدْبُرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].
- وقال سبحانه : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفَقَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

كما وردت السنن توضح قيمة التدبر:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بَتْعَةً عند خالتى ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعةً ثم رقاد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِآيَاتٍ لَأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم قام فتوضاً واستأنَّ فصلَى، إِحدى عشرة ركعةً ثم أذنَ بلا فصلٍ ركعتين ثم خرج فصلَى الصُّبُح» [متفق عليه].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : صلَّى رسول الله عليه وآله وسلَّمَ يوماً صَلَاتَ فأطال فيها، فلما انصرفَ قُلْنَا - أو قالوا - يا رسول الله أطَلْتِ الْيَوْمَ الصَّلَاةَ، قال : « إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاتَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَمْتَي ثَلَاثَةً، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَلَا يُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكْهُمْ غَرَقًا، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا تَجْعَلْ بِأَسْهَمِهِمْ بَيْنَهُمْ، فَرَدَّهَا عَلَيَّ ». [رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : « صَلَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لِيْلَةٍ، فَافْتَحَ بِالْبَقَرَةِ، فَقَلَّتْ يَرْكَعَ عَنْدَ الْمَائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقَلَّتْ يُصْلِي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، ثُمَّ افْتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَحَ آلَ عُمَرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرْسَلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبْحٌ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعْوِذٌ ... ». [رواه مسلم].

وورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي عليه وآله وسلَّمَ : « أَقْرَأْتُ عَلَيْهِ »، قُلْتُ : أَقْرَأْتُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزَلَ ؟، قال :

«فَإِنِّي أَحُبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال : «أمسك»، فإذا عيناه تَدْرُفان» [رواه البخاري ومسلم].

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : «كان أول ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الآيات أولات العدد» [رواه البخاري ومسلم].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «ركعتان مُقتضتان في تفكير خيرٌ من قيام ليلة بلا قلب» .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا تلا هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، قال : «بلى ياربّ، بلى ياربّ» .

وعن طاوس قال : «قال الحواريون ليعيسى ابن مريم : يا روح الله، هل على الأرض اليوم مثلك؟، فقال نعم، من كان منطقة ذكراً، وصمتُهُ فكراً ونظرهُ عبرةً، فإنه مثلني».

قال عبد الله بن المبارك : « مَرْجُلٌ بِرَاهِبٌ عِنْدَ مَقْبَرَةِ
وَمَزْبَلَةٍ ، فَنَادَاهُ فَقَالَ : يَا رَاهِبٌ ، إِنَّكَ كَنْزَيْنِ مِنْ كَنْزَيْنِ
الدُّنْيَا ، لَكَ فِيهِمَا مُعْتَبِرٌ ، كَنْزُ الرِّجَالِ ، وَكَنْزُ الْأَمْوَالِ ». .

وعن محمد بن كعب القرظي قال : « لأن أقرأ في
ليلتي حتى أصبح بـ﴿إِذَا زُلْتَ﴾ و﴿القارعة﴾، لا أزيد
عليهما وأتردّ فيهما وأتفكر أحب إلى من أن أهُزَّ القرآنَ
ليلتي هزاً - أو قال - : أنشره نشراً » .

قال الفضيل : «إِنَّمَا نَزَّلَ الْقُرْآنَ لِيُعَمَّلَ بِهِ فَاتَّخِذُ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلاً، قِيلَ : كَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟ قَالَ : لِيُحَلِّوا حَلَالَهُ، وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَيَأْتِمُّوا بِأَوْامِرِهِ، وَيَنْتَهُوا عَنْ نُوَاهِيهِ، وَيَقْفُوا عِنْدَ عَجَابِهِ» .

قال ابن القيم : أما التأمل في القرآن فهو تحديق نظر
القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله وهو
المقصود بإنزاله ، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر ، قال الله
تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبَارِكٌ لِّيَدْبِرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا
الْأَلْبَاب﴾ [٢٩] ، وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ
الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا﴾ [٢٤] [محمد : ٢٤] وقال

تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَدَبِّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون : ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾

[الزخرف : ٣] .

وقال الحسن : « نَزَّلَ الْقُرْآنَ لِيُتَدَبَّرَ وَيُعْمَلُ بِهِ، فَاتَّخِذُوهَا تلاوته عملاً » .

فليس شيء أَنفع للعبد في مَعَاشهِ وَمَعَادِهِ وأَقْرَبَ إِلَى
نِجَاهَةِ مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأْمُلِ، وَجَمْعِ الْفَكْرِ عَلَى
مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
بِحَذَافِيرِهَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَتِهِمَا
وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَنَقْلُ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ
السُّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَتُثْبِتُ قَوَاعِدَ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ،
وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ، وَتُوطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرْيِهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،
وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي قَلْبِهِ، وَتُخْضِرُهُ بَيْنَ الْأَمْمِ وَتُرْيِهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ
وَتُبَصِّرُهُ مَوْاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشَهِّدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتَعْرِفُهُ ذَاتَهُ
وَأَسْمَاءَهُ وَصَفَاتَهُ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ
الْمُوَصَّلُ إِلَيْهِ، وَمَا لَسَالَكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ،
وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا، وَتُعْرِفُهُ النَّفْسَ وَصَفَاتُهَا، وَمُفْسَدَاتُ

الأعمالِ ومُصْحَّحاتِها، وَتُعرَفُه طرِيقُ أهْلِ الجَنَّةِ وَأهْلِ النَّارِ
وَأعْمَالِهِمْ، وَأحْوَالِهِمْ وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أهْلِ السَّعَادَةِ
وَأهْلِ الشَّقاوَةِ، وَأقْسَامِ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ
فِيهِ وَافْتَرَاقِهِمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ .

وبالجملة : تُعرِّفُهُ الرَّبُّ الْمَدْعُوُ إِلَيْهِ، وَطَرِيقُ الْوُصُولِ
إِلَيْهِ، وَمَا لَهُ مِنْ الْكَرَامَةِ إِذَا قَدَمَ عَلَيْهِ .

وَتُعرِّفُهُ مُقَابِلَ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَخْرَى : مَا يَدْعُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ
وَالطَّرِيقُ الْمُوْصِلَةُ إِلَيْهِ، وَمَا لِلْمُسْتَجِيبِ لَدَعْوَتِهِ مِنِ الإِهَانَةِ
وَالْعَذَابِ بَعْدِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ .

وَفِي تَأْمُلِ الْقُرْآنِ وَتَدْبِرِهِ وَتَفَهُّمِهِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ ما
ذَكَرْنَا مِنِ الْحِكْمَةِ وَالْفَوَائِدِ .

عبد الله : القرآن ليس كتاب مطالعة ولا جغرافيا، بل
هو كلام رب العالمين، فتدبروه ولا تنشروه نشر الرمل، ولا
تهزووه هز الشّعر، قفووا عند عجائبه، حرکوا به القلوب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



كلا إنها تذكرة

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد :

فإِنَّمَا مُحَذِّرُكَ مِنْ دَارِ مِنْقَلِبِكَ إِلَى دَارِ إِقَامَتِكَ، وَجَزَاءُ
أَعْمَالِكَ، فَتَصِيرُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظَهُورِهَا، فَيَأْتِيَكَ مُنْكَرٌ
وَنَكِيرٌ، فَيَقْعُدُ عَلَيْكَ فَيَنْتَهِرَانِكَ، فَإِنْ يَكُنَ اللَّهُ مَعَكَ، فَلَا فَاقْتَةٌ
وَلَا حَاجَةٌ، وَلَا بَأْسٌ وَلَا وَحْشَةٌ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ،
فَأَعُذُّنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ يَا أَخِي مِنْ سُوءِ الْمَصْرَعِ، وَضِيقِ الْمَضْجَعِ،
ثُمَّ تَبْلُغُكَ صِحَّةُ النَّشُورِ، وَنَفْخَةُ الصُّورِ، وَقِيَامُ الْخَلَائِقِ
لِفَصْلِ الْقِضَاءِ، وَامْتِلَاطُ الْأَرْضِ بِأَهْلِهَا، وَالسَّمَاوَاتِ
بِسُكَانِهَا فَبَاحَتُ الْأَسْرَارِ، وَسُعِّرَتِ النَّارُ، وَوُضِعَتِ الْمَوَازِينُ،
وَنُشِرتِ الدَّوَاوِينُ ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [ال Zimmerman: ٦٩].

فَكُمْ مِنْ مُفْتَضَحٍ وَمُسْتَوْرٍ، وَمُعْذَبٍ وَمَرْحُومٍ، وَكُمْ مِنْ

هالك وناجٍ، فيا ليت شعري، ما حالي وحالك يومئذ، فإنَّ
هذا ما هدم اللذات، وسلى عن الشهوات، وقصر من الأمل،
وأيقظ النائم، ونبَّه الغافل .

أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا من
قلبك وقلبي موقعها من قلوب المتقين، فإنما نحن له وبه،
والويل لمن كانت الدنيا أمله، والخطايا عمله، عظيم بطنته،
قليل فطنته، عالم بأمر دنياه، جاهل بأمر آخرته، أعرابنا
الكلام بما نلحن، ولحنا في الأعمال بما نُعرب، كلنا قد
حسن ظاهره، فمن مَنْ حَسَنَ باطنه، نُرَقَّ دنياناً بتمزيق
ديننا، ثُبِيَّضَ الشوب في الوقت الذي ثُدَّسَ فيه الدين،
ويحافظ الواحد مَنَا على نعله، بينما قد لا يُحافظ على
دينه، ويُكرِّم نفسه بما فيه إهانتها، سهل وخف الكلام
فتكلمنا، ورأينا العمل كأمثال الجبال، فنكصنا على عقبنا
القهيري، وحدث الانفصال الرهيب بين الدنيا والآخرة
والأرض والسماء... كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: أخاف أن
يُقال يوم القيمة يا عوير، هل علمت؟ فأقول نعم، فيقال:
ماذا عملت فيما علمت؟».

وأنت بدورك علّمت الكثيّر، فلما ذا تخلّفَ الفعل عن
القول، ما الذي غرّك من الدنيا؟ قفْ ساعة وتفكرْ منْ
خلقك، ولماذا خلقك، وإلى أين المصير، وهل حالك يصلح
للإجابة على الأسئلة الثلاثة التي ستوجه لك حتماً، منْ
ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في الرجل الذي بعث فيك؟،
أرأحل أنت أم مُقيم؟، وإذا كنت مرتاحاً فإلى أين؟ إلى جنة
أم إلى نار؟، الحياة بغير الله سراب ﴿يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

لقد افتضح أمر البعض على أمثال أبي جعفر المنصور،
وقال: كلّكم يمشي رويداً، كلّكم يطلب صيداً، فكيف
يكون حالك إذا وقفت بين يدي من لا تخفي عليه خافية
﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

إنَّ السعيد من صرف الله أمله إلى ما يبقى، وقطعه عما
يفني، وأعانه في دار الفناء على عمارة دار البقاء، والويل
الطویل والحسرة التي لا تزول لمن أعرض عن الكتاب

والسُّنَّة، ولم ينْهِ نفسه عن الهوى، تفكّر في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبر منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرايتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إنَّ فيها مواعظ لمن ادَّكر، لقد غفلت وليس بمغفول عنك، وأملك دنياً والموت يطلبك، وبنيت قصراً والقبر مسكنك ...

كلا إنها تذكرة، فلا تتبّرم، فقد روجع بذلك من هو أفضـلـ مـنـكـ صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ؛ لـانـصـرافـهـ عـنـ اـبـنـ أـمـ مـكـتـومـ الـأـعـمـىـ، وـإـقـبـالـهـ عـلـىـ صـنـادـيدـ وـأـشـرـافـ قـرـيـشـ لـدـعـوـتـهـمـ، نـزـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّـ﴾ (١) أـنـ جـاءـهـ الـأـعـمـىـ (٢) وـمـاـ يـدـرـيـكـ لـعـلـهـ يـزـكـيـ (٣) أـوـ يـذـكـرـ فـتـفـعـهـ الـذـكـرـيـ (٤) أـمـاـ مـنـ اـسـتـغـنـيـ (٥) فـأـنـتـ لـهـ تـصـدـيـ (٦) وـمـاـ عـلـيـكـ أـلـاـ يـزـكـيـ (٧) وـأـمـاـ مـنـ جـاءـكـ يـسـعـيـ (٨) وـهـوـ يـخـشـيـ (٩) فـأـنـتـ عـنـهـ تـلـهـيـ (١٠) كـلـاـ إـنـهـ تـذـكـرـةـ (١١) ﴿عَبَسـ : ١ - ١١﴾ .

عاتبه سبحانه بسبب ابن أم مكتوم حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء، رغم أنه عليه السلام كان يطمع في إيمان أشراف قريش، وسيسلِّم بإسلامهم خلق كثير، أي أنه عليه السلام كان في

مهمة دعوية، ولم يكن انصراقه لأمر دنيوي، فما الذي يُقال
لمن باع دينه بدنياه، أو باع دينه بدنيا غيره.

كلا إنها تذكرة، فلا تستنكف عن قبولها، فإن الذكرى
تنفع المؤمنين، واحذر النسيان الذي يُدمر دينك ودنياك،
فقد قال تعالى عن المنافقين : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] ، وقال : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبه : ٦٧] ، وقال : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٩].

إن الشيطان جاثم على قلب العبد، فإذا سها وغفل
وسوس له الشيطان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، ومن شأن
الشيطان إنساء العبد مصالحه ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف : ٦٣] ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَإِذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيْتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّيْ لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ٢٤].

إن الذكر من أعظم الأسلحة التي تخسم المعركة مع
شياطين الإنس والجبن، ومع ذلك صار البعض ينظر إليه على

أنه دروسة، أو أنه خاص بالصوفية، وقد نُسَارع باتهام من حرك لسانه بذكر الله بأنه مرائي !! وهذا من قصور النظر، ومن حظوظ الشيطان، فإن الطاعات ما شرعت إلا إقامة لذكر الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقَعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُم﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ أَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال: ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعُرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُم﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وقال: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» [رواه مسلم].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّا كُنَّا لِنَعْدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مَئِةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: «رَبِ اغْفِرْ لِي، وَتَبْ عَلَيَّ، إِنْكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ».

سمعوه ﷺ وهو يقول ذلك، وهو سيد الخلصين ، وقالت أم المؤمنين عائشة ؓ لما نزلت : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر] ، كان رسول الله ﷺ يُكثر في رکوعه وسجوده من قول : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن . [رواه البخاري] .

وعنها أيضاً قالت : ما صلَّى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه سورة : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَّا يقول : «سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي» [رواه البخاري] .
والإسرار بالذكر في موطنه سُنَّة ، والجهر في موضعه سُنَّة ، وحسبك أن تُكثر من ذكر الله ، وأن تخلص العمل له سبحانه ، فترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يُعافيك الله منها ، والحذر من احتقار شأن الذكر ، فهو من أعظم الطاعات وأجل القربات .

ونحن في آونة تستدفع كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أن يُعظم حرمات الله ، ومن جملة ذلك الأذكار ، ومن الخطأ أن نُعوّل على الجدل والطول والأسباب المادية وحدها في مواجهتنا لأعداء الإسلام والمسلمين ، وفي

خروجنا من هذا الواقع السيئ، أو أن نظن أنَّ الأذكار نوع من اللعب، وتكريس للضعف الذي أصابنا.

إنَّ الأذكار سالمة عن كل معارضه في العسر واليسر، والقوَّة والضعف، بل قد نعجز عن كثير من صور القوَّة المادية، وتحقيق الخيرات والبركات للبلاد والعباد بذكر الله، فقد استعان السلف الصالح على فتح الحصون بكلمة: «لا حول ولا قوَّة إِلَّا بالله».

وقال ابن تيمية: آية الكرسي نافعة في دفع شياطين الإنس والجن، ومن قرأ الآيتين الأواخر من سورة البقرة كفته، وما تعود أحد به مثل المعوذتين - «قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس» - .

وقال القرطبي: نزلتُ بالهدى ليلةً، فلدغتني عقرب، فتفكرتُ في نفسي، فوجدتُ أنِّي نسيتُ الذكر - أي نسي أن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» - .

وفي الحديث: «ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشه الشياطين، فجاءه ذكر الله فطرد الشيطان عنه» .

وورد: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِنْ هُوَ ذَكْرِنِي
وَتَحْرِكْتَ بِي شَفَتَاهُ» فَأَبْشِرْ بِهَذِهِ الْمُعِيَةِ.

وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: «رَبُّ أَعْنِي وَلَا تُعْنِنَّ عَلَيَّ،
وَانصُرْنِي وَلَا تُنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكِرْ لِي وَلَا تُمْكِرْ عَلَيَّ،
وَاهْدِنِي وَيُسِرِ الْهَدَى إِلَيَّ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى
عَلَيَّ..» [رواه أبو داود والترمذى، وصححه الألبانى]. ومن
السبعة الذين يُظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجل
ذَكْرُ اللَّهِ خَالِيًّا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [رواه البخارى ومسلم].

وفي الحديث: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَ -
إِلَّا حَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشَّيْتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَّلْتُ عَلَيْهِمْ
السَّكِينَةَ، وَذَكَرْهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عَنْهُ» [رواه مسلم].

وَمَا يُقَالُ عِنْدَ الْكَرْبَلَاءِ وَالْمَصِيبَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ،
سَبَحَانَ اللَّهِ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ» [رواه البيهقي بإسناد حسن].

وفي الحديث: «مَنْ تَعَارَ مِنَ اللَّيلَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

وسبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، ثم قال: رب اغفر لي – أو قال: ثم دعا – استُجيب له، فإن عزم فتوضاً، ثم صلَّى قبلت صلاته» [رواه البخاري]. وقال رسول الله ﷺ: «من صلَّى علىٰ واحدة، صلَّى اللهُ عليه عشرًا» [رواه مسلم].

وكان النبِيُّ ﷺ يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»

[رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «يا فلان، إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وأجلأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت من ليتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً» [متفق عليه].

وقال رسول الله ﷺ : «من قال - يعني إذا خرج من بيته - : بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، يُقال له هُدٰيٌ وَكُفْيٌ، وَوُقْيٌ، وَتَنْحَىٰ عَنِ الشَّيْطَانِ» [رواه أبو داود والترمذى وحسنه] ، زاد أبو داود: «فيقول - يعني الشيطان لشيطان آخر - : كيف لك بـرجل قد هُدٰى وَكُفِيَّ وَوُقِيَّ؟» .

وكان النبئي ﷺ إذا خرج من بيته قال: «بسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ» [رواه أبو داود والترمذى، وقال: حسن صحيح].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوكُمْ فَاخْشُوهُمْ، فَزَادُهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ» [رواه البخاري].
خذوا بالأسباب المادية ما استطعتم، ولكن لا تننسوا ذكر الله، فهو حال جميع الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان

إلى يوم الدين، هذا حال صغارهم وكبارهم، حال أصحاب الكهف، وهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آتَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشِداً﴾ [الكهف: ١٠]، وحال الغلام في قصة أصحاب الأخدود، وهو يقول في كل مرة: «اللهم اكفنيهم بما شئت».

وحال الأنبياء أعظم وأجمل، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِنِي﴾ [الصفات: ٩٩]، ونبي الله لوط عليه السلام يقول: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ونبي الله موسى عليه السلام يقول: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لَتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، ولما قالت له بنو إسرائيل: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّ سَيِّدِنِينَ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وهذا نبي الله يونس عليه السلام يقول وهو في جوف الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنباء: ٨٧]

إِنَّ الذِّكْرَ حِيَاةً لِلْقَلْبِ، وَقُوَّةً لِلنَّفْسِ، وَأَمَانًا مِنَ النَّفَاقِ،
بِهِ تُسْتَجَلُّ النِّعَمُ، وَتُسْتَدْفَعُ النَّقَمُ، وَيَتَحَقَّقُ بِهِ الْفَلَاحُ
وَالْفُوزُ وَنُورُ الدُّورِ كُلُّهَا، يُذَيِّبُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ، وَيُذَهِّبُ
مَخَاوِفَهُ، يُسْهِلُ الصَّعْبَ، وَيُيَسِّرُ الْعُسْرَيْرَ، يُؤْمِنُ الْعَبْدُ مِنَ
الْحَسْرَةِ، وَهُوَ أَيْسَرُ الْعِبَادَاتِ وَأَفْضَلُهَا.

وَأَفْضَلُ أَهْلِ كُلِّ طَاعَةٍ أَكْثَرُهُمْ فِيهَا ذَكْرًا لِللهِ، فَأَفْضَلُ
الْمُجَاهِدِينَ الْذَاكِرِينَ، لَا دَاعِيٌّ لِلْقُولِ بِأَنَّ الْمَعرِكةَ لَا تُحْسَمُ إِلَّا
بِالسَّيْفِ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٍ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَآخِرُ دُعَوانَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .



فِهْرِسٌ

٣	المقدمة
٩	أين المفر
٢٢	إن ربك لم ير صاد
٣٦	لكل نبأ مستقر
٤٩	يُدمرُونَ أنفسهم بأنفسهم
٦٢	الموالاة والمعاداة
٧٧	دُعْوةُ الْحَقِّ لَا تَنْتَهُ بِمَوْتِ رَائِدِهَا
٨٨	الوصية بالأشهر العربية
١٠١	أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
١١٤	كيف تم السعادة الحقيقية
١٢٧	التحزب
١٣٨	تقلب الزمان بأهله
١٤٩	ما زالت نفعنا إذا داهم العدو ديارنا
١٦٦	تدبر القرآن
١٧٩	كلا إنها تذكرة
١٩٢	الفهرس